السياسة الخارجية السعودية من خلال «القوة الناعمة»

زين العابدين الركابي

«القوة الناعمة» مصطلح: أبرزه وخدمه وحاول تأصيله المفكر الأمريكي جوزيف ناي. وله كتاب معروف في هذا الشأن: عنوانه وموضوعه «القوة الناعمة.. وسيلة النجاح في السياسة الدولية».. يقول في كتابه هذا: «ترتكز القوة الناعمة لبلد ما على ثلاثة موارد هي ثقافته «في الأماكن التي تكون فيها جذابة للآخرين».. وقيمه السياسية «عندما يطبقها بإخلاص في الداخل والخارج».. وسياسته الخارجية «عندما يراها الآخرون مشروعة وذات سلطة معنوية وأخلاقية».. ثم بسط القول في مورد أو ركيزة «الثقافة» فقال: «عندما تحتوي ثقافة بلد ما على «قيم عالمية» وتروج سياساته قيما ومصالح يشاركه فيها الآخرون، فإنه يزيد من إمكانية حصوله على النتائج المرغوبة بسبب علاقاته التي يخلقها من الجاذبية والواجب. فالقيم الضيّقة، والثقافات المحدودة يقل احتمال إنتاجها للقوة الناعمة.. والولايات المتحدة تستفيد من ثقافة عالمية التوجه. ولقد جادل المحرر الصحافي الألماني جوزيف جوف - ذات مرة - بأن قوة أمريكا الناعمة أعظم من أصولها وموجوداتها الاقتصادية والعسكرية».

إن الولايات المتحدة - منذ قامت - وهي تعتمد - في المقام الأول - على «القوة الخشنة»: البدائية والحديثة.. فلماذا ظهر هذا الاتجاه الجديد: الداعي إلى القوة البديل، أي إلى «القوة الناعمة»؟!

قد يقال: إن القوة الخشنة باهظة التكاليف في الأنفس والأموال.

وقد يقال: إن القوة الخشنة كان لها زمانها ومناخها. ولقد جد من الزمان والمناخ ما يتطلب نقيضها.

وقد يقال: إن زوال الخطر الشيوعي - الذي كان يمثله الاتحاد السوفياتي - قد قلل من الإفراط في الاعتماد على «القوة الخشنة».

وقد يقال.. ويقال الخ.

وكل ما ذكر آنفا صحيح، بيد أنه لا ينفي ولا يلغي تفسيرات أخرى للتوجه الجديد نحو «القوة الناعمة».. ومنها

1 - أن الرأي العام العالمي قد بلغ من النضج ما جعله ينفر بشدة من القوة الخشنة المتمثلة في الضرب والقتل والحروب، وما جعله - بالتالي - ميالا للسلام، شغوفا به أيما شغف.. ومما لا ريب فيه: أن السلام من صميم «القوة الناعمة».

2 - التقدم العلمي والتقني الذي ألغى أو قرب المسافات بين الأمم، وهذا نوع من القوة الناعمة الدافئة. فالتباعد والعزلة من شأنهما إضعاف العلاقة بين الناس.. وحين يتباعد الناس: يكثر جهل بعضهم ببعض، وينشأ - من ثم - سوء التقدير وسوء الظن مما يؤدي إلى إيثار التعامل بالقوة الخشنة.

3 - أن القوة الخشنة يمكن أن يستخدمها أعداء البشر وأعداء حضارتهم وهم الإرهابيون.. ومن هنا اقتنعت قطاعات بشرية واسعة بحقيقة تطهير الكوكب من العنف بأشكاله كافة.. وكراهية القوة الخشنة «العنف» تساوي الحب للقوة الناعمة.

4 - يتعزز ذلك كله بما هتف به وأكد عليه ميثاق الأمم المتحدة الذي جعل «السلام» بين الأمم - وهو مناخ القوة الناعمة -: أول مقاصده، وأسمى مضامينه.. ونحسب أن الرأي العام العالمي يقترب - حثيثا - من روح هذا الميثاق، وهو اقتراب يغذي - ويؤصل - الاتجاه إلى «القوة الناعمة».

نقول ذلك بمناسبة الجولة الآسيوية الطويلة لولي العهد السعودي الأمير سلمان بن عبد العزيز. فقد زار كلا من باكستان واليابان والمالديف والهند والصين، وهي زيارة يمكن تصنيفها أو صبها في مصطلح «القوة الناعمة».

فإذا شئنا التفصيل قلنا: إن القوة الناعمة هي:

1 - التجارة والاقتصاد والاستثمار.. وقد كان ذلك قضية رئيسية في جميع المباحثات التي جرت في تلك الزيارة في تلك البلدان.

2 - العلم والمعرفة.. وهذا موضوع كان ركيزة كبرى من ركائز الزيارة أو الجولة الآسيوية، إذ يستحيل أن تكون هناك «قوة ناعمة» من دون العلم والمعرفة. فإذا كان العلم والمعرفة: حضرت القوة الناعمة بفاعلية وتفوق مطرد. فاليابان - مثلا - جُرِّدت - لأسباب معروفة - من القوة الخشنة، لكنها بالعلم والمعرفة أصبحت «قوة ناعمة» على مستوى الإقليم والعالم.

3 - الفكر والثقافة.. نستعيد - ها هنا - عبارة صاحب نظرية القوة الناعمة وهو جوزيف ناي. فقد قال: «إن بلدا ما يمكن أن تكون لديه «قوة ناعمة» إذا كانت لديه «قيم عالمية» يشاركه فيها الآخرون».

فهل يملك السعوديون هذه الثقافة أو القيم العالمية؟

إن منبع القيم لدى السعوديين هو: الإسلام. فهل نجد في هذا المنبع «قيما عالمية» يؤمن بها آخرون في كوكبنا هذا؟

أجل.. أجل.. أجل.. ونعم.. نعم.. نعم إلى آخر أدوات التوكيد.

وهذه هي بعض «القيم العالمية» المشتركة:

1 - قيمة الإيمان بالله: رب الناس، ملك الناس، إله الناس: الناس جميعا، الناس كلهم: بصفتهم المشتركة هذه.

2 - قيمة الإيمان بالرسل جميعا، وبالكتب التي أنزلت عليهم: «شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه».

3 - قيمة وحدة الجنس البشري في الأصل والمنشأ: «خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها».

وهذه الوحدة إطار عام للتعددية والتنوع في الألوان واللغات: «ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم».

وهو تنوع غايته التعارف الإنساني العام: «يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا».

4 - قيمة تكثير الصداقات، وتقليل العداوات: «ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم».

وهذه قاعدة دبلوماسية مكينة جذابة.. نعم، وهي قبل ذلك - خلق ديني كريم ينزع إلى تكثير الأصدقاء، وتقليل الأعداء بـ«النعومة الأخلاقية والسلوكية».. وهذه القاعدة من «المشتركات الإنسانية».. فما من إنسان عاقل في هذه الأرض إلا وهو يحب من يحسن إليه، ويتلطف معه، وما من إنسان عاقل في هذه الأرض إلا وهو يكره من يسيء إليه، ويغلظ معه.

لقد هتف نبي الله إشعياء في الناس وناداهم بأن «اجعلوا الرماح مناجل»، أي حولوا الرماح التي تقتل الإنسان إلى مناجل تستعملونها في حصاد الزروع والبساتين.

فهل نريد نحن أن نجعل الحياة كذلك؟

يا ليت.

بيد أنه فرق بين «الأمنية» و«الواقع»

والواقع التاريخي - والراهن - يقول: إنه من غير المستطاع تصور البشرية أسرابا من الحمائم اللطيفة التي تغرد وتتهدل «من الهديل الذي هو صوت الحمام ولغتها».

وحين نطالب بالقوة الناعمة لا نذهل عن «القوة الأخرى» التي تحمي القوة الناعمة وتدفع شر الأشرار وعدوان المعتدين، بيد أن هناك فرقا كبيرا بين «القوة الناعمة» - كأصل أصيل في العلاقات الدولية - وبين القوة الحارسة الدافعة كاستثناء واحتياط وردع ضروري. فالأصل - في مخاطبة الآخرين - هو حسن الخطاب وجميل الكلام والأسلوب، لكن لا مانع من رد الظلم عن الذات كاستثناء في حالة ضرورة: «لا يحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم».

عن «الشرق الأوسط» اللندنية

مجلس التعاون.. إلى أين ؟

علي العنزي

منذ قيام مجلس التعاون الخليجي عام 1980 والهدف الرئيس له هو حماية شعوب دول مجلس التعاون الخليجي من التطورات السياسية والعسكرية التي تحدث في المنطقة، فالخليج العربي - ومنذ بداية السبعينات وبسبب ارتفاع أسعار النفط، والطلب المتزايد عليه - أصبح محط أنظار الدول الكبرى، ولاسيما الولايات المتحدة الأمريكية والدول الأوروبية، إذ تعتمد صناعتها على نفط الخليج الذي أعطى دوله - بحسب تقرير حديث - المرتبة الأولى عالميا في حجم الفائض في الميزان التجاري الذي بلغ 502 بليون دولار في عام 2012، فيما تمتلك هذه الدول ثلث الاحتياط العالمي من النفط، وأكثر من خمس الاحتياط العالمي من الغاز، وبذلك احتلت المرتبة الأولى عالميا في احتياط النفط، والمرتبة الثانية في احتياطي الغاز، وهو ما مكّنها من احتلال المرتبة الأولى عالميا في إنتاج النفط، إذ بلغ إنتاجها 20 في المئة من الإنتاج العالمي لعام 2013، وجاءت في المرتبة الثالثة عالميا في إنتاج الغاز، إذ بلغ إنتاجها من الغاز الطبيعي المسال 370 بليون مترمكعب، ويُشكل احتياطها 52 في المئة من إجمالي الاحتياطات النفطية لـ«أوبك» وإنتاجها يشكل 49 في المئة من إجمالي إنتاج دول المنظمة من النفط الخام، كما تمثل صادراتها من النفط من إنتاج دول «أوبك» أكثر من 50 في المئة، وهو ما يجعلها القوة الرئيسة المتحكمة في منظمة أوبك إنتاجا وتصديرا، ولذلك يأتي الاهتمام في منطقة الخليج من هذا الباب، وهو ما جعل دول الخليج العربي «السعودية والكويت والإمارات وقطر والبحرين وعمان» تتفق على إنشاء منظومة سياسية، لحفظ الاستقرار في هذه الدول، وهو ما تم من خلال إنشاء مجلس التعاون الخليجي، الذي رأت فيه الشعوب الخليجية اللبنة الأولى لتأسيس اتحاد خليجي متكامل، يكون مظلة سياسية يحميها من الأخطار الخارجية، ويكون طريقا للتكامل السياسي والاقتصادي والعسكري لهذه الدول.

اتسمت المواقف السياسية الخليجية بالتوافق والاتفاق والثبات على معظم القضايا العربية والدولية، ولاسيما بعد موقف مجلس التعاون الخليجي الحازم من غزو العراق للكويت، لتصبح المواقف الخليجية متفقا عليها من دوله، ومن خلال الأمانة العامة للمجلس، فأعطى زخما وقوة لمواقفها، لقوتها الاقتصادية والسياسية واتفاقها في المواقف ذات الاهتمام المشترك، إذ أصبحت أحد العوامل المؤثرة في قرارات عربية، بسبب وحدة قراراتها وتوحد رؤى دولها، حتى إنه بات يُحسب له حساب في المواقف العربية والإقليمية، فنرى مسؤولين من العالم يتوجهون إلى العواصم الخليجية ولقاء مسؤوليها، لما تمثله من ثقل اقتصادي واستقرار سياسي، لكن ظهرت في الأعوام الأخيرة تباينات عدة بين دول المجلس حول بعض القضايا السياسية، كالعلاقات مع إيران وغيرها من الدول الإقليمية الأخرى، لكنها لم تصل إلى درجة تهديد وحدة المجلس أو استقرار دوله وشعوبه، لكنها اتضحت في شكل واضح خلال الأعوام الثلاثة الماضية، ولاسيما الاختلاف في المواقف تجاه بعض المنظمات المحلية والإقليمية، وكذلك حول العلاقات مع بعض الدول الإقليمية.

إن أحد أهم بنود ميثاق مجلس التعاون الخليجي هو عدم التدخل في الشؤون الداخلية للدول الأخرى، فالسماح لبعض المحرضين من هنا وهناك هو تدخل، ولاسيما عندما تُذكر أسماء دول أو مسؤولين في هذه الدول، سواء أكانت ضمن دول مجلس التعاون الخليجي أم دول شقيقة، لذلك لا بد لدول التعاون من احترام ميثاق المجلس والالتزام به، لأنه ينظم العلاقات بين دول المجلس وكذلك مع الدول الشقيقة أو الصديقة الأخرى، لذلك جاءت الخلافات بين السعودية والإمارات والبحرين من جهة، وقطر من جهة أخرى حول هذا الموضوع.

ستعقد القمة العربية في دولة الكويت هذا الشهر، ولذلك لا تريد الكويت أن تعقد هذه القمة والخلافات تدب في دول مجلس التعاون الخليجي، وتقوم الكويت بوساطة بين دول مجلس التعاون، لعلها تستطيع رأب الصدع، وقد حاولت في السابق تقريب وجهات النظر بين الأطراف الخليجية، لكن الجانب القطري لم يلتزم بتعهداته، وتاريخ الكويت مشهود له بالدبلوماسية الهادئة، ولاسيما أن أميرها الحالي كان أقدم وزير خارجية عربي، إذ عاصر معظم المشكلات العربية والإقليمية التي تعرضت لها المنطقة، وأسهم في حلول كثير منها، وبخاصة الخلافات الداخلية بين دول مجلس التعاون الخليجي، ولذلك يعتقد مراقبون بأن الوساطة الكويتية بين السعودية وقطر قائمة بكل حال، فالكويت حريصة على انعقاد القمة العربية ونجاحها في هذا الوقت التي يشهد العالم العربي فيه تشرذما كبيرا بين دوله، فتسعى جاهدة لتكون قمة الكويت العربية انطلاقة خليجية جديدة، لتنعكس إيجابا على الوضع العربي.

التعاون مطلوب، ولكن الوحدة والاتحاد هو الأمثل بالنسبة إلى دول مجلس التعاون الخليجي، فالمطلوب هو عدم الوصول إلى الخلافات الخليجية إلى الدرجة التي تؤدي إلى هدم ما بُني في أعوام، لذلك لا بد من مراجعة للذات بالنسبة إلى قطر.. فهل يعقل أن تكون جميع دول مجلس التعاون على خطأ؟ ولذلك لا بد من العودة إلى نظام المجلس والالتزام به واتخاذ القرارات، بناءً على ذلك النظام، من خلال التصويت والإيمان واحترام رأي الغالبية، وهو ما نشاهده في دول الاتحاد الأوروبي في خلافاتها، ففي حال الخلافات تعود إلى نظام الاتحاد، ولا تؤثر هذه الخلافات في العلاقات الاستراتيجية بين دول الاتحاد، لذلك أعتقد بأن قطر ملزمة بالنظر في المصلحة العامة لدول المجلس وشعوبه، فالجميع يعرف أن منطقة الخليج مستهدفة، ويتربص الأعداء بها.

لا تريد الشعوب الخليجية والعربية أن تنتهي حال المجلس، كحال جامعة الدول العربية، وتصبح الخلافات هي السمة الطاغية على لقاءات أعضائه، وينتهي بما انتهت إليه جامعة الدول العربية، بعدم الفاعلية، وهو الذي كانت شعوب دول المجلس تطمح لأن يكون وعاء لقيام اتحاد خليجي متكامل، يحفظ لهذه الشعوب مستقبلها واستقرارها.

عن «الحياة» اللندنية

رائحة السيناريو الجزائري

فهمي هويدي

يصفعنا خبر الصباح إذ نعى إلينا أمس مقتل ستة من الجنود المصريين في هجوم إرهابي، وهي جريمة من النوع الذي يبعث إلينا رسالة ذكرتنا بما تمنينا أن ننساه، سواء إرهاب التسعينيات الذي استهدف رموز السلطة أو عشرية الجزائر السوداء التي بدت صراعا بين الجماعات المسلحة من جانب والجيش والشرطة من جانب آخر، وكل منهما أتعس من الآخر. إلا أنني أشم في حادث «مسطرد» الذي وقع فجر أمس رائحة السيناريو الجزائري الذي كنت قد استبعدته من قبل. واعتمدت في ذلك على التباين بين البيئتين المصرية والجزائرية في البيئة السياسية والطبيعة السكانية والجغرافية، الآن أقر بأنني أحسنت الظن وأخطأت في التقدير، رغم أنني مازلت آمل في أن يفعل التباين فعله وألا تتطابق الحالتان المصرية والجزائرية في النتائج، مذكرا بأن السيناريو الجزائري استمر عشر سنوات وأدى إلى سقوط نحو مائتي ألف قتيل.

صحيح أن البدايات لا تخلو من تشابه بين البلدين، خصوصا في الدور الذي لعبه الجيش بكل منهما في إجهاض المسار الديمقراطي، مع الاختلاف في حجم التأييد الشعبي الذي كان في مصر أوضح منه في الجزائر. إلا أنني أتمنى أن تختلف النهايات وأن يتعلم القائمون على الأمر في مصر دروس التجربة الجزائرية، التي أهمها أن الحل العسكري والأمني لا يكفي في حسم الصراع السياسي. وهو ما فطن إليه الرئيس الجزائري عبدالعزيز بوتفليقة الذي تولى السلطة في عام 1999 وتبنى سياسة «الوئام المدني» التي كانت مدخلا لتحقيق السلم الأهلي، وبه انتهت المرحلة التي يصفها الجزائريون بالعشرية السوداء التي أغرقت البلاد في بحر من الدماء وتخللتها مذابح وجرائم بشعة يشيب لها الولدان.

أحد الفروق المهمة بين التجربتين الجزائرية والمصرية أن طرفي الصراع في الجزائر كانا واضحين إلى حد كبير. فالمواجهة كانت معلنة بين الجيش القابض على السلطة وبين جبهة الإنقاذ التي لم يكن قد مضى على تأسيسها أكثر من سنتين. وبالتالي كان لها من القواعد المشتتة أكثر مما لديها من الكوادر المنضبطة. أما في التجربة المصرية فالإخوان يتصدرون مقدمة الطرف الآخر ومعهم «التحالف» الذي يضم جماعات أخرى، وفي حين تبنت جبهة الإنقاذ سياسة المواجهة المسلحة، فإن جماعة الإخوان ومعها التحالف اختاروا في مواقفهم المعلنة طريق المعارضة السلمية التي تمثلت في الاعتصامات والمظاهرات. ورغم تعدد حوادث العنف التي شهدتها مصر خلال الأشهر الثمانية الماضية، إلا أنه لم يثبت حتى الآن أن التحالف ومعه الإخوان كانوا وراءها، حتى أكبر حدث وقع حتى الآن وتمثل في تفجير مقر مديرية أمن القاهرة أعلنت جماعة أنصار بيت المقدس مسئوليتها عنه، رغم أن الأصابع أشارت إلى الإخوان ورغم أنه كان ذريعة لاعتبارها جماعة إرهابية من جانب مجلس الوزراء، وهو القرار الذي اتسم بالتعجل وسوء التقدير، واعتمد على اجتهادات سياسية وليس على معلومات أمنية موثقة.

أثار الانتباه في هذا الصدد أن المتحدث العسكري المصري سارع بعد عشر دقائق من إعلان خبر الجنود الستة إلى اتهام الإخوان بالمسئولية عن الجريمة. وهوما فعله صاحبنا أيضا بعد دقائق معدودة من إطلاق الرصاص على حافلة عسكرية قبل يومين وقتل اثنين من ركابها.

ورغم الإعلان آنذاك عن أن اللذين أطلقا الرصاص كانا اثنين من الملثمين استقلا دراجة نارية فإن المتحدث العسكري سارع أيضا إلى توجيه ذات الاتهام، قبل أي تحقيق ودون أي تحريات. وكأنه وحده الذي استطاع أن يتعرف على الملثمين. ولأن المتحدث العسكري يمثل مؤسسة محترمة لها وزنها في المجتمع، فقد كان حريا به أن يكون أكثر حذرا واتزانا، ليس فقط لكي يعزز صدقية البيانات التي يدلي بها واحترام الجهات التي يمثلها، ولكن أيضا لتمكين جهات التحري والتحقيق من أن تؤدي عملها بجدية، بحيث لا تمضي وراء التوجيه السياسي بما يؤدي إلى إفلات الجناة الحقيقيين من العقاب سواء كانوا من الإخوان أو غيرهم.

في مواجهة أحداث بتلك الجسامة والبشاعة، نحن أحوج ما نكون إلى التحلي بالمسئولية والوعي، لأن الانسياق وراء الانفعال لا يسمح لنا بتحري الحقيقة، فضلا عن أنه يصادر تفكيرنا في كيفية التعامل مع مؤشرات العنف المتنامية. في هذا الصدد ينبغي أن ينتبه الجميع إلى أن ما حدث في مسطرد ليس منفصلا عن مسلسل الأزمة التي تواجهها مصر منذ الثالث من يوليو الماضي التي سالت في ظلها دماء غزيرة. وما لم يتم التعامل مع جذور الأزمة فإن أصداءها وتداعياتها سوف تستمر، ولن يتوقف مسلسل الفواجع والصدمات.

إننا لا نريد أن يطول انتظارنا ولا نريد أن نرى مزيدا من دماء الأبرياء تراق ومزيدا من الخراب يحل، لكي ندرك أننا بحاجة إلى تحرك جاد لتحقيق «الوئام المدني»، الذي دعت إليه «خارطة الطريق» قبل ثمانية أشهر، لم نشهد تحركا جادا يحققه. إذ رجحت كفة الحريصين على الخلاص من الإخوان ومن لف لفهم. وفي غمرة الانفعال ونشوة الحماس نسي كثيرون الانتصار للوطن.

عن «الشروق» المصرية